

من كتاب: " الطب النفسي: بين الأيديولوجيا والتطور " (الحلقة 2)



[yehiatrakhawy@hotmail.com](mailto:yehiatrakhawy@hotmail.com)

نشرة " الإنسان " 2019/09/22

السنة الثمانية عشرة - العدد: 4404

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر

### الأيديولوجيا والسياسة:

في معظم الدول الغربية تكاد الممارسة الطبية أن تتجنب ذكر المذهب السياسي للمريض أو سؤال المريض عنه، بدرجة ليست أقل من التحفظ حول سؤاله عن دينه، والمبررات - على ما أعتقد - واحدة، وهي تصور أننا بذلك نتجنب الاقتراب من منظومات ثابتة قد تصل إلى حد التقديس، وأن نقصر جهدنا على "بقية" المريض بعيدا عن تلك المنظومات ما أمكن ذلك.

فهل هذا ممكن؟

نعم، أحيانا!!.. (أو نادرا)

### العلم والأيديولوجيا:

أغلب ما يسمى النشاط السائد حاليا تحت اسم "العلم" يمكن أن يندرج تحت ما يسمى: أيديولوجيا منهجية، باسم "الموضوعية"، وذلك يتجلى في حماس وشروط المؤسسة العلمية الرسمية العاملة على إحكام إغلاق المنهج، واحتكار طرق البحث، وهو نشاط يمكن أن يندرج بسهولة تحت مفهوم الأيديولوجيا كما قدمناه الآن، وبالتالي يصبح أبعد ما يكون عن الموضوعية التي يزعمون أنها من دعائمه الأساسية، الأرجح عندي أن الأيديولوجيا المالية (وهي ليست بالضرورة مرادفة للرأسمالية) تمارس برمجة العلماء، ثم الأطباء لصالح المال في المقام الأول، وهي تسهم في إحكام السيطرة ووأد الإبداع الذي يهددها أولا بأول، فيصبح العلم بذلك ليس مرادفا للمعرفة ولا هو أحد تجلياتها، يصبح أيديولوجيا تبلغ أحيانا قوة أكبر من قوة الدين كأيديولوجيا، في حين أنها قد تخدم أغراضا أكثر اغترابا، وأخطر تعجيلا بالإنقراض.

لا ينبغي أن تشجّب هذه الحقائق فضل العلم والأبحاث العلمية، لكن لعلها تساعد على أن توضع نتائج العلم، وباستمرار، من جانب اصغر ممارس إلى أكبر عالم موضع الاختبار العملي، الذي يتجاوز الجداول المعاملة إحصائيا، والمعلومات المنشورة، وأرقام المعامل!!!

إن الممارسة الكلينيكية الإبداعية، تحتاج أن نتخلص من الاختناق وراء أسوار الأيديولوجية العلمية (2) وأن تسمح بتقديم نتائجها لكل الممارسين، حتى يمكن انتقاء الأصلح من الحقائق النافعة والباقية من كوم الإضافات المحكومة بهذه الأيديولوجيا العلمائية المغلقة، حتى أن هذه الأيديولوجيا اعتبرت "ضلالا" (3) حديثا عند البعض.

هذه المهمة أولى بالقيام بها الفقراء أمثالنا الذين لا يمتلكون أدوات ولا إمكانات الأبحاث الباهظة التكلفة، في حين أنهم قد يتمتعون بفرص أكثر رحابة في التفكير والإبداع، ويمارسون علاقات أكثر حميمية ومرونة وإبداعاً مع مرضاهم ويصلون إلى نتائج عملية (إمبريقية) ليست أقل نفعا من نتائج المعامل المقدسة.

في معظم الدول الغربية تكاد الممارسة الطبية أن تتجنب ذكر المذهب السياسي للمريض أو سؤال المريض عنه، بدرجة ليست أقل من التحفظ حول سؤاله عن دينه

أغلب ما يسمى النشاط السائد حاليا تحت اسم "العلم" يمكن أن يندرج تحت ما يسمى: أيديولوجيا منهجية، باسم "الموضوعية"

بالتالي يصبح أبعد ما يكون عن الموضوعية التي يزعمون أنها من دعائمه الأساسية

الأرجح عندي أن الأيديولوجيا المالية تمارس برمجة العلماء، ثم الأطباء لصالح المال في المقام الأول، وهي تسهم في إحكام السيطرة ووأد الإبداع الذي يهددها أولا بأول

لا ينبغي أن تشجّب هذه الحقائق فضل العلم والأبحاث العلمية، لكن لعلها تساعد على أن توضع نتائج العلم، وباستمرار، من جانب اصغر ممارس إلى أكبر عالم موضع الاختبار العملي

## اللغة والأيدولوجيا:

كل لغة تحدد نوع التواصل بين من يستعملها، كما تؤثر بدرجة ما على الوجدان والمعتقدات التي تمثلها أية أيدولوجيا، حين استعملت لفظ الوجدان لأصِف به بعدا من الأبعاد التشخيصية لم أجد لفظا بالإنجليزية يقابل استعمالى الخاص للفظ الوجدان (أنظر بعد) لذلك استعملته بحروف لاتينية مع شرح المعنى الذى أريده، (WIJDAN، 4))

كذلك أنا أمارس تحريك ما هو "حزن" فى الممارسة الكلينيكية، حتى فى المقابلة الأولى مع المريض، وأحاول أن أقرنه بما هو "الزهق"، أو "الهم"، أو "الغم"، أو "النكد" (5) ، كما أننى من البداية أنبه مريضى أننى لا أسأل عن الحزن "على" أو الحزن "لأن..". (عشان) ويستجيب أغلب مرضائى لما أريد توصيله لهم عن "حَقهم فى الحزن" كما خلقه الله، كما خلقنا الله ، لكننى حين حاولت أن أترجم هذا اللفظ (الحزن)، إلى الانجليزية بمضمونه الخاص جدا فى لغتنا العامية ، والعربية، لم أعر حتى الآن على كلمة بالانجليزية تنبض بما ينبض به لفظ "حزن" بالعربية، وطبعا رفضت أن أترجمه إلى "اكتئاب" لأنه أصبح لفظا يصف عرضا مرضيا ليس له نبض ألقاظ الأسى والمرارة عندنا (لا فى الفصحى ولا العامية). إن اللغة (6) بقدر ما هى أداة للتواصل هى أيضا سور أيدولوجى محكم، يمكن أن تتشكل المشاعر داخله باختناق معطلٍ لحركية النمو، كما أنها هى التى قد تتيح تحريكا مرنا لبط مستويات الوعى لاحتواء الوجدان فعلا .

## المال والأيدولوجيا:

لم يعد المال هو الأداة التى ترمز إلى، أو تستعمل فى، تنظيم التعاملات، فحسب، ولا هو الوسيلة الأولى أو الأساسية لتحديد الطبقات بين البشر، ولكنه أصبح معتقدا راسخا يصبغ الحياة الإنسانية كلها بمنظومة فكرية سياسية سلوكية تخدم قيماً اغترابية مالية مطلقة معلنه أوخفية، بغض النظر، عن جدوى ذلك ونفعه فى معركة التطور والبقاء، وتعلن محاولات العولمة الأخيرة لتوحيد العملة، وعولمة الاقتصاد، واحتكار الإدارة المالية عالميا، تعلن كل ذلك، وقد تحول المال إلى إله، تماما مثل تحول العلم المؤسسى إلى دين سلطوى حديث، ثم منظومة ضلالية محكمة.

إن ما ذكرناه فى فقرة العلم والأيدولوجيا ، ينطبق بشكل مباشر على هذه الفقرة فى حدود ما يخص الطب النفسى بالذات، أما فى مجال الاقتصاد والسياسة والجارى فى العالم طولا وعرضا، وهو ما يقبع وراء الحروب المبيدة والاستباقية، والتطهير العرقى، والاستعمار الظاهر والخفى مرورا بالاستعمار الاستيطانى الماحى ، كل ذلك له علاقة بهذه الأيدولوجيا التى تهدد الجنس البشرى بالانقراض، إن ما يسمى "سياسة السوق"، بقدر ما يدور حولها من نقد ومراجعة هو بصورته الحالية المتمادية، يمثل كارثة بكل معنى الكلمة، وهى كارثة لها تأثيرها فى مجالات كثيرة، أخفاها مجالات العلم والعلماء والبحث العلمى والنشر العلمى، ومن ثم على ممارسة الطب، وعلى الهدف منها، ومحكات قياسها، ومآل المرضى، بل هى مسئولة عن ما آل إليه الطب عامة والطب النفسى خاصة من سلبيات معاصرة، لقد أثرت هذه الأيدولوجيا حتى على توجه تجديد تشخيصات وأمراض معينة، ووضع موثيق بذاتها للممارسة الطبية، مما ترتب عليه، وسوف يترتب عليه أخطر الآثار على الإبداع فى مجال الطب النفسى كمثال، وفى الأغلب على الحياة المعاصرة عامة.

إن هذه الأيدولوجيا المرتبطة بالمال الأعمى، والعلم المغلق، والمنهج الكمى المقارن معا: هى ما يصبغ معظم ممارساتنا الطبية النفسية بشكل أو بآخر، وبالتالي هى التى تتحكم فى مدى انتشار كثير من النظريات شبه العلمية دون غيرها.

والأحد القادم تقدم:

- الأيدولوجيا والوعى:

- الأيدولوجيا والمدارس النفسية

- الأيدولوجيا والأسطورة الذاتية

إن الممارسة الكلينيكية الإبداعية، تحتاج أن نتخلص من الاختناق وراء أسوار الأيدولوجية العلمية وأن نسمع بتقديم نتائجها لكل الممارسين، حتى يمكن انتقاء الأصلح من الحقائق النافعة

هذه المهمة أولى بالقيام بها الفقراء أمثالنا الذين لا يمتلكون أدوات ولا إمكانات الأبحاث الباهظة التكلفة، فى حين أنهم قد يتمتعون بفرص أكثر رحابة فى التفكير والإبداع، ويمارسون علاقات أكثر حميمية ومرونة وإبداعاً مع مرضاهم

أمارس تحريك ما هو "حزن" فى الممارسة الكلينيكية، حتى فى المقابلة الأولى مع المريض، وأحاول أن أقرنه بما هو "الزهق"، أو "الهم"، أو "الغم"، أو "النكد"

إن اللغة بقدر ما هى أداة للتواصل هى أيضا سور أيدولوجى محكم، يمكن أن تتشكل المشاعر داخله باختناق معطلٍ لحركية النمو

أصبح المال معتقدا راسخا يصبغ الحياة الإنسانية كلها بمنظومة فكرية سياسية سلوكية تخدم قيماً اغترابية مالية مطلقة معلنه أوخفية

تحول المال إلى إله، تماما مثل تحول العلم المؤسسى إلى دين سلطوى حديث، ثم منظومة ضلالية محكمة

إن ما يسمى "سياسة السوق"،

بقدر ما يدور حولها من نقد ومراجعة هو بصورته الحالية المتعادية، يمثل كارثة بكل معنى الكلمة

هي كارثة لما تأثيرها في مجالات كثيرة، أخفاها مجالات العلم والعلماء والبحث العلمي والنشر العلمي، ومن ثم على ممارسة الطب

هي مسنولة عن ما آل إليه الطب عامة والطب النفسي خاصة من سلبيات معاصرة

لقد أثرت هذه الأيديولوجيا حتى على توجه تجديد تشخيصات الأمراض معينة، ووضع مؤايق بذاتها للممارسة الطبية

إن هذه الأيديولوجيا المرتبطة بالمال الأعمى، والعلم المخلق، والمنهج القمى المقارن معا، هي ما يصيغ معظم ممارساتنا الطبية النفسية بشكل أو بآخر

[1] - يحيى الرخاوى: "الطب النفسى: بين الأيديولوجيا والتطور" منشورات جمعية الطب النفسى التطورى (2019)، والكتاب موجود فى الطبعة الورقية فى مكتبة الأنجلو المصرية وفى منفذ مستشفى دار المقطم للصحة النفسية شارع 10، وفى مركز الرخاوى للتدريب والبحوث: 24 شارع 18 من شارع 9 مدينة المقطم، كما يوجد أيضا حاليا بموقع المؤلف، وهذا هو الرابط [www.rakhawy.net](http://www.rakhawy.net)

[2] - اعتبرت الأيديولوجيا العلمية "ضلالا" عند البعض مثل روبرت شيلدراك

The Science Delusion Freeing the Spirit of Enquiry, Rupert Sheldrake, First published in Great Britain in 2012 by Coronet, An imprint of Hodder & Stoughton, An Hachette UK company.

وقد نشر الكتاب بعنوان آخر فى أمريكا هو "العلم يتحرر" "4 Science Set Free" September 2012

[3]- لا يوجد خطأ مطبعى.

[4] - يحيى الرخاوى. (1990) آفاق وخداعات حول تصنيف وتسمية الأمراض النفسية. الجزء الأول: اختراق النظام التشخيصى السائد. المجلة العربية للطب النفسى 1: 81-92 (إفتتاحية).

- يحيى الرخاوى. (1990) "فى تصنيف الأمراض النفسية: تعدد الأبعاد وجها لوجه أمام تعدد المحاور". إفتتاحية المجلة العربية للطب النفسى.

[5] - ويدهى أنه ليس "الدبرشن" ولا هبوط "المود".

[6]- يمكنك الرجوع إلى مقال: "مخاطر الترجمة بين تسطيح الوعى واختزال المعرفة" قضايا فكرية الكتاب السابع والثامن عشر - مايو 1997 فى موقعى [www.rakhawy.net](http://www.rakhawy.net)، بل إلى أرجوزة كتبته للأطفال أذاع عن "الحق فى الحزن" قلت فيها:

حزنى مش زن وشحاته وضُعْبَانِيَّةُ... حزنى حقى لَمَّا تغمرنى الأسيَّة

حزنى بيفجّر مشاعري: إلى هيا

هما شايفين أنى لازم أبقي دائم الابتسام!....، يبقى كده أنا فى السليم كله تمام

كل ما أضحك أبقي أشطر!!؟

طب وأنا بالشكل ده ازاي راح أكبر..؟؟

إرتباط كامل النص:

[www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD220919.pdf](http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD220919.pdf)

## مؤسسة العلوم النفسية العربية

جائزة "قتيبة شلبي" لشبكة العلوم النفسية العربية للعام 2019

تتشرفه شبكة العلوم النفسية العربية بإطلاق اسمه:

" البروفيسور قتيبة شلبي "

( الطب النفساني، العراق / أمريكا )

على جائزتها للعام 2019 المنصحة للأعمال العلمية في الطب النفساني

تقديرًا لمسيرته العلمية المميزة

واعترافًا لما قدمه من خدمات جليلة للطب النفساني الشرعي على المستوى العالمي

دعوة لتقديم الترشيحات للجائزة

الترشح للجائزة من بداية من 01 جانفي 2019 الى 30 نوفمبر 2019

شروط الترشح

[www.arabpsynet.com/Prizes/Prize2019/APNprize2019.pdf](http://www.arabpsynet.com/Prizes/Prize2019/APNprize2019.pdf)

دليل جائزة شبكة العلوم النفسية على المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com/arabpsynet.php?p=2>

دليل جائزة شبكة العلوم النفسية على الفاييس بوك

<https://www.facebook.com/Arabpsynet-Award-289735004761329/?ref=bookmarks>